المحاضرة الخامسة

السفسطائيون

بعد اندحار اثينا في سلسلة حروب البولوبونيز، بدأ شباب اثينا يتساءل عن جدوى الفلسفات والمثاليات التي تعلموها وعن جدوى مفاهيم العدالة والديمقراطية لتي نشأوا في ظلها، وكانت ردة فعلهم انهم اعتقدوا بأن القوة المادية اجدى بكثير من البلاغة الكلام، وان معيار النجاح هو الواقع، هذا الانقلاب الجذري في المفاهيم مهد الطريق لضهور طائفة عرفت بإسم السفسطائيين، فكلمة السفسطائي تعني (رجل الحكمة)، ومن ابرز الاسماء التي ارتبطت بظاهرة السفسطائيين شخصيات بروتاجوراس وجورجياس وثراسيماخوس وهيباس و انتيفون وكالكيز .

ما هي طبيعة الفلسفة السياسية للسفسطائيين؟

اعتبر السفسطائيين ان الانسان او الفرد هو محور المعرفة، فالفرد هو مقياس الاشياء جميعا، ونتيجة لهذا المنطق سادت روح الفردية في المجتمع الاثيني، فتنكر الفرد للجماعة وحرص على تحقيق ذاته دون التقيد بقوانين المجتمع او قيمه، وتبعا لذلك استحق السفسطائيون لقب معلمي الفردية الاوائل، واعلنوا ان التفوق بالقوة

هو القاعدة الوحيدة للممارسة المشروعة السلطة ، فالعدالة في رأيهم هي صفة الاقوى المعبرة عن مصالحه .

نماذج من آراء السفسطائيين:

- ميز انتيفون بين القانون الطبيعي والقانون الوضعي، و طبقا لآراء انتيفون السياسية نجد ان القانون الوضعي مجرد تعارف تخلقه الاتفاقات، من ثم فهو مضاد للقانون الطبيعي الذي تخلقه الطبيعة، وان على الفرد ان يتظاهر باحترام القانون الوضعي امام الناس فقط، فإن لم يجد رقيبا اتبع القانون الطبيعي الذي يعني ان يعمل الشخص طبقا لمصلحته الخاصة، وان لا ضرر من انتهاك الفرد للقانون الوضعي إلا اذا عرضه ذلك الانتهاك للقصاص، وعلى هذا الاساس خلق انتيفون هوة سحيقة بين القانون الوضعي والقانون الطبيعي .
- اما بروتاجوراس فيرى ان هدف النشاط الفكري ليس الحكمة التي لا يمكن الوصول اليها، بل ان الهدف يكمن في الفطنة وحسن المجالسة ليصبح الفرد ناجحا في ادارة شؤونه الداخلية ومن ثم مؤهلا للمشاركة في شؤون الدولة، كما تضمنت آراء بروتاجوراس سمات من نظرية العقد الاجتماعي مقرونة

بمسحة ميتافيزيقية، فالدولة نشأت استجابة لحاجة الناس الى تنظيم حياتهم تنظيما مستقراً، إلا ان فشلهم في ذلك دفع الاله (زيوس) ليرسل الاله(هرمز) لينشر بينهم مبادئ العدل ليكون اساس الترابط في هذه المجتمعات، وبذلك يكون بروتاجوراس قد ادخل العامل الروحي كعامل جديد لا يقتصر على المادية الفردية التي نادوا بها بتطرف بخصوص التنظيم الاخلاقي والسياسي للدولة .

- اما كالكيز وثراسيماخوس فقد ناديا بفردية متطرفة تقرر أن لا وفاق بين الطبيعة والقانون، فالقانون من وجهة نظر كالكيز مرفوض كونه ناجم عن عقود واتفاقات هي من صنع الضعفاء لسلب الاقوياء حقهم العادل الذي اكسبتهم اياه قوتهم، فالرجل القوي يستطيع دائما ان يجعل ارادته حقيقة نافذة، بمقابل ذلك يرى ثراسيماخوس أن لاوجود بالمرو لشيء اسمه حق طبيعي، فالحق هو كل ما تنفذه اقوى سلطة في الدولة وفق ما ترى فيه مصلحتها، فمن العدل ان ينال الاقوياء اكثر مما يناله الضعفاء، وان يتمتع الاقوياء بكل ما يرغبونه من مغانم يرضون بها شهواتهم .